هدي الإسلام في تعويض ذوي الآفات وأهل الأعذار

د. حسن بن صالح الحميد
أستاذ مساعد-جامعة أم القرى
المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-قسم الحسبة

خلاصة البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان مظاهر ألطاف الله تعالى بعباده ، وخاصة مع حصول التفاوت بينهم في مظاهر الحياة الدنيا ، ووجود أعذار لبعضهم تمنعهم من المنافسة في أمور الدنيا والآخرة ، وذلك من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، ودراستها دراسة موضوعية ومعرفة آثارها ، مما يكسب النفوس الجادة الطمأنينة ويقطع حجة المقصرين والكسالى .

ويسلط الضوء على حقيقة التكافؤ في الإسلام ، ويظهره بصورة جلية ،كما يبين جوانب تعويض ذوي الآفات وأهل الأعذار ، ويرسم لوحة مشرقة لعظمة الإسلام ومدى عنايته بالأنفس التي اجتمع عليها الضعف البشري وعارِض الآفة ؛كيف سلاّها وكيف عوّضها،في العاجل وفي الآجل.

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد:

فإن الله تعالى قد منح الحياة لعامة البشر بكيفية تحقق مبدأ العدل المطلق ، فلا محاباة أو حيف ،على ما بينهم من تفاوت في الإمكانات والمواقع والحظوظ ،فهذا ذكي وذاك مسلوب العقل ،وهذا مرزوق وآخر محروم ، وذاك حرّ وغيره مسلوب الحرية ،وهذا مؤمن وذاك كافر ،وما بين ذلك إلى عشرات المفارقات بين الخلق ؛ذكورًا وإناثًا.

وفي هذا التفاوت من تجليات حكمة الله ولطفه وعلمه ما لا يُدرَك كنهه ؛ فإن لكل حالةٍ ما يحتفّ بها ،وكيف يحيط بها علمًا من قد لا يدرك ذلك التفاوت في حال نفسه ؟!.

وإن من مظاهر هذه الألطاف أن الله تعالى لم يجعل هذا التفاوت مرسلا بلا نظام؛ ولو كان كذلك لذهبت نفوسٌ حسراتٍ على هذا التفاوت العظيم في ظاهر الأمر. لأن الحياة كلها قد تمر دون أن يكون هناك أمل في ظروف ملائمة يتمكن المحروم من منافسة غيره. وهذا لا يليق بعقل العقلاء، فضلا عن حكمة أحكم الحاكمين ؛ وإذا كان كتاب الله ، الذي اشتمل على بيان كل شأن يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم ،فإن مسألة ذات شأن ،كمسألة التعويض لأهل الأعذار ولمن فاتهم من حظوظ الدنيا ما تتعلق به نفوس بني آدم عادة ورد الاعتبار لذواتهم وتطييب خواطرهم؛ إن مسألةً كهذه لابد أن يكون في هذا الكتاب العظيم من ترياقها ما تسكن إليه النفوس ،ويُسلّم له العقلاء .

وقد تأملت في كتاب الله تعالى وسنة الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ فوجدت جملة صالحة من الشواهد ،إذا اجتمعت أبرزت لوحة مشرقة لعظمة هذا الإسلام ومدى عنايته بالأنفس التي اجتمع عليها الضعف البشري وعارِض الآفة ،كيف سلاّها وكيف عوّضها ،في العاجل وفي الآجل ، فكان هذا البحث الذي سميته :" هدي الإسلام في تعويض ذوي الآفات وأهل الأعذار".

أهداف البحث

إن الوقوف على هذا النظام العادل في التعويض والمكافأة من شأنه :

- أن يبعث الطمأنينة في نفس كل من فاته حظٌ دنيوي ؛في ذاته أو من يُحِبّ، بغير تفريط منه.
- ويقطع حجة المقصرين والكسالى ،أن يجدوا على الله حجة يدفعون بها تفريطهم ،أو عذرًا يعتذرون به لأنفسهم .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة :

- المقدمة : وفيها أهمية البحث وخطته ومنهجه.
- التمهيد : وفيه المقصود بأهل الاعذار
- المبحث الأول :حقيقة التكافؤ في الإسلام.
- المبحث الثاني :تعويض ذوي الآفات وأهل الأعذار، وفيه أربعة جوانب:
  - ✓ رفع الحرج عن المكلف.
  - ✓ إثابة المعذور ثواب من أدرك وعَمِل.
  - ✓ تخفيف العقوبة عنه.
  - ✓ تخفيف التكليف أو إسقاطه.
  - ✓ التسلية بذكر مسئوليات الأصحاء وعقوبات المخالفين من القادرين.
- الخاتمة : وفيها أهم نتائج الدراسة .

ويتبع ذلك فهرس بأهم المصادر والمراجع وفهرس المحتويات .

الدراسات السابقة :

لم أجد – فيما أعلم بحسب اطلاعي –من أفرد هذا الموضوع ببحث موضوعي في التفسير وما وجدته هو عبارة عن كلام منثور في بطون المطولات من كتب التفسير .

أما ما يتعلق بالأحكام الفقهية الخاصة بأهل الأعذار فقد اعتنى بها الفقهاء في مطولاتهم ومنهم من أفردها بدراسة مستقلة منها على سبيل المثال :

(الأحكام الفقهية المختصرة في أحكام أهل الأعذار) لعبد السلام بن أبراهيم العضيب. وبحثنا هذا ليس مجاله الاحكام الفقهية وإنما هو بيان لهدي الاسلام في تعويض ذوي الآفــات وأهــل الأعـــذار وشواهد ذلك من القرآن والسنة النبوية كما يظهر من عنوانه ومن الله أستمد العون والتسديد وأسأله التوفيق وهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا به .

التمهيد :

المقصود بذوي الآفات وأهل الأعذار في بحثنا هذا هم من به آفة –طارئة أو ولد بها – تسببت في إعاقة ؛كالعمى والعرج ،والمرض ،أو ألحقت تشوهًا ؛كالعور والبرص. أو ضَعَةً كالرِّق ،أو انحطــاط النسب بين الناس ،أو ضعف العقل والتدبير،أو الفقر المُعْوِز ،أو انقطاعًا كالعُقم ،أو كــان العــذر في جنسه كالمرأة ؛فإن في طبيعتها خِلقَةً ،وفيما يعرض لها ما يجعلها في مرتبة دون الرجل. فهم ــ أعــني أهل الأعذار وذوي الآفات هنا ــ أعم من ذوي الأعذار الذين يذكرون عادة في كتب الفقه. كما أن تعويضهم أعم من مجرد عذرهم وتخفيف بعض التكاليف عنهم.

كل أولئك ومن في حكمهم عَرَض لهم ما قد يجعل بعضهم يشعرون بانحطاط رتبتهم عن الأسوياء وهم يرونهم قد أكمل الله لهم الخَلق ،أو وسّع عليهم في الرزق ،بينما هم قد فات عليهم من متع الحياة ما ظفر به غيرهم. حتى ولو لم يكن ما فاتهم من كمال الدنيا سببا في إعاقتهم ، لكنه نقص في خِلقتهم أو متعتهم. فالعمى إعاقة أما البرص فليس كذلك ، لكن في المقياس البشري قد يكون البرص دونيّـــة بين الناس ووقعه على نفس صاحبه أشد من العمى. والله الحكيم الرحيم العدل لن يجعــل الأبــرص والسويّ الخَلق سواء في هذا الجانب. بل سيعوض الأبرص ثوابا عاجلا أو مؤجلا ، أو كليهما، وهذا لايمنع أنه قد يحصل التفاوت بينهما من جهات أخَرَ.

وقد يظن من ضَعُف يقينه من المسلمين فضلا عن غير المسلمين أن ما أصابهم كان بسبب أن الله لم يمنحهم ظروفا مواتية مكافئة ،وربما تسخّط بعضهم ،وتحيّر آخرون..والله تعالى حكم عدل ، هو الذي خلقهم وخلق الأسوياء ،وابتلاهم وعافى غيرهم ،وإليه مرجع الجميع، ولن يضيعهم أو يَتِرَهم صبرهم واحتسابهم إذا كانوا كذلك، بل سيعوضهم خيرًا مما سلب منهم في مكان خير من مكـــانهم وزمـــان أطول من مدة حياتهم.

المبحث الأول :حقيقة التكافؤ في الإسلام

إذا سلمنا بوجود التفاوت بين الناس ــ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ؛ فإن التعــويض يســتلزم حيادًا في الحكم من جهة ،وتكافؤًا في الإمكانات والبدائل من جهة أخرى ،فهل ذلك ممكن؟...

هذا هو موضوع هذا المبحث.

وبادي بدء أُجدد التأكيد بأن هذا جانب عظيم في الإسلام ، ينبغي الوقوف عنده وإبرازه، وإزالة ما قد يكتنف بعض جوانبه من غموض في الفهم وإدراكِ الحِكَم والإسرار المودعة فيه.

إن الله تعالى منح الحياة لعامة البشر بكيفية تحقق مبدأ العدل المطلق ،والتكافؤ في الإمكانات والمواهب ،أو في التعويض عنها ،فلا محاباة أو حيف ،وإن بدا الأمر بخلاف ذلك لمن قَصّر في النظر ،أو اقتصر نظره على إمكانات البشر ومواقعهم وحظوظهم المادية والدنيوية ،وذهل عن العلاقة التي لا انفصام لها بين الدنيا والآخرة في الخلق والتكليف، وفي زمن ومكان ونوع الثواب والعقاب والتعويض. وهي مسألة قد تبدو واضحة في عمومها؛ ولكن تجليتها ستجعل النفوس أكثر رضًى وتصديقًا.

وبين يدي هذه المسألة أقول :

- إن مجالَ التنافس وتوظيفَ الإمكانات من جهة المكلفين محصورٌ في الحياة الدنيا ــ التي هي ظرف العمل وفترة الحرية والاختيار ــ قال تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾(١)

وكل فعل مستمر بعد الموت فمرجعه فعل واختيار للمكلف قبل الموت.

- أما المكافأة والجزاء والتعويض عما يصيب أو يفوت بعض الخلق لعارض أو مُلازمٍ لهم فمجالها الدنيا والآخرة معاً.

فالمكافأة في الدنيا أمر يدركه الإنسان ضرورة.

وأما في الآخرة فقد تظافرت النصوص على إثباته. قال-سبحانه -مبينًا اتصال ثواب المؤمنين في الدارين ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

وبالمقابل ينبه الله تعالى إلى ذهاب ثواب الكفار على أعمال فَقَدَت شرط اتصال الثواب في الآخرة. قال جلّ وعزّ : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾(٣). يخبر الحقّ: "أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء ؛وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ؛إما الإخلاص فيها ،وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل ؛فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين ،وقد تجمعهما معا ،فتكون أبعد من القبول حينئذ"(٤)

فتبين بذلك أن الدنيا ظرفٌ للعمل والتنافس من جهة ،ومكانٌ للجزاء والمكافأة من جهة أخرى .

أما الآخرة فهي مكان للجزاء والثواب ،وليست مجالًا للعمل ،ولكنها الأفراح والمسرات لمن أحسن وصبر واحتسب وهو مسلمٌ ،يقال لهم﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٥] ، وإنها الحسرات لمن فوّتوا على أنفسهم مهلة الحياة ﴿ ...حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾[٦].

إن العدل والتكافؤ متحقق في أسمى صوره في كل قَسْم وتكليف ؛حتى في خلق الإنسان من ذكر وأنثى. وهو أمر قد يخيّل لمن قلّ حظهم من النظر أن ما بينهما من تفاوت في القدرات والحقوق والحظوظ ــ أحيانًا ــ أن ذلك إجحاف بمبدأ التكافؤ. و لم يتنبه هؤلاء إلى التناسب الدقيق بين القدرات والمسئوليات بين الجنسين في الفضاء الممتد؛

أوله في الدنيا ومنتهاه هنالك في الآخرة ؛حيث يكون التعويض والمقاصّة عن كثير مما يفوت في الدنيا.

وهذا العُمق في الزمان والمكان على مساحة تمتد لتشمل الدنيا والآخرة.

هذا العمق قد يذهل عنه بعض المسلمين فضلا عن غير المسلمين.

وهنا نؤكد أن الإيمان "باليوم الآخر يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ؛ وينفي عنه القلق والسخط والقنوط ،إذ إن جَرِدَة الحساب ليس في هذه الأرض ،والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة ؛ الحساب الختامي هناك ،والعدالة المطلقة مضمونة ثَمّ. فلا ندم على فُرص الخير والجهاد والمعروف إذا لم يتحقق ثوابها في الأرض، أو لم يلق مُنتهزها ما يستحقه. ولا قلق على الأجر إذا لم يُوَفّ في هذه العاجلة بمقاييس الناس، فسوف يُوفّاه بميزان الله. ولا قنوط من العدل إذا توزّعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يراد ،فالعدل لا بد واقع يوما ما"[٧] مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٨]. وما فات هنا من غير تفريط فهو موفور هناك "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟" قالها الحبيب صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه وهو يرى الكفار يتقلبون في متاع الدنيا ،وسيد الخلق ليس في يده منها شيء.

وبالتأمل سنرى الإشكال في فهم تكافؤ الإمكانات والمساحة المتاحة للتعويض... سنراه ناشئًا ومتولدًا من إحدى جهتين :

- الأولى : إشكالية تتعلق بالقانون والنظام الوضعي الأرضي، وهي :

إنه لا يمنح التكافؤ عمليًا ،وإن أقرّه نظريًا ؛ فالمرأة حرة ؛لكنها مظلومة ممتهنة لرغبات الرجل وجلب العملة الصعبة وازدهار السياحة ،والملونون غير البيض أحرار ؛لكنهم مواطنون من الدرجة الثانية في أحسن أحوالهم في كل مفاصل الحياة المدنية.

ثم إن القانون الوضعي لا يملك آلية مقنعة للتعويض العادل ؛لأن النظام الوضعي لا يتجاوز الحيـــاة الدنيا في المدى الزمني. وغير ممكن أن يتحقق التكافؤ والتعويض بين ظالم ومظلوم وبين صحيح ومعتوه إذا كانت الدنيا هي نهاية الجزاء وغاية المؤاخذة أو التعويض.وأكثر الخلق رحلوا ما بين ظالم لم يُقتَص منه ومظلوم لم يَستوف مظلمتَه، ومصاب بآفة لم يتم تعويضه على صبره وآلامه.

ثم إن البشر لا يملكون إلا جزءاً محدودًا من الحياة في الحياة الدنيا ،أما الآخرة فليس لهم فيها أمـــرٌ ولا نهي ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٩].

والنظام الإلهي غير مسئول عما يصنعه الإنسان بنفسه إذا اختار غير هدي الله ونظامه. إنَّ سلامةَ الفِطَرة ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١٠] ضروريةٌ للتسليم والرضا. والجاهلياتُ المتعاقبة تفسد الفِطَر فيكثر الاعتراض على قَسْم الله وتدبيره ،فينشأ القلق والجزع والتسخّط بين الرجل والمرأة ،وبين الغني والفقير ،والمبتلى والصحيح : ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَـــاتِ لِقَـــوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِـــرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾[١١] .

إن الذين يرفضون توسيع دائرة المكافأة على الأعمال والإمكانات أو التعويض عما فات منـــها أو الاقتصاص ممن تعدى وظلم ، ويقصرون ذلك على فترة الحياة الدنيا هؤلاء يسهمون بصورة مباشرة في تدمير مستقبل الإنسان في الدارين ؛لأنهم يحرمون أنفسهم وغيرهم ممن يغتر بهم من أهم أزمنة الجـــزاء وأطولها وأخطرها. وهو اليوم الآخر الذي يكون فيه حسم جميع الأمور ، والعدل المطلق في الحكم بين جميع الخلائق. وهذا التقطيع لأوصال الزمن يترك آثاره المدمرة على سلوك الناس وتدينـــهم ،ويفـــتح أبواب التنافس غير الشريـــف، ويُلهب الإحن والأحقاد في نفوس المحرومين في هذه الحياة.

وهذا يؤكد لكل عاقل – فضلًا عن كل مسلم – أن نظام الجزاء والمكافأة العادل لا يســـتقيم ولا يوثق بنتائجه إذا فصلنا الحياة الدنيا عن امتدادها في الزمان والمآل ، وهو الدار الآخرة ـــ وهذا هـــو بيت القصيد في مسألتنا هذه ـــ ويكفي في هذا الباب أن يستعرض المسلم مشاهد المحاورات بـــين الأتباع والمتبوعين ،وكيف يكتشف الطرفان أن توظيف إمكاناتهم كان خاطئًا ،وأن القـــانون الـــذي اعتمدوه في تبادل الحقوق والواجبات كان جائرًا. وهي نماذج متكررة ،أذكر هاهنـــا مـــثلين منـــها لتوضيح الصورة.

قال سبحانه: ﴿ ..وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) ﴾(١٢). لقد اغتر الضعفاء بوعود المتبوعين، واستمرأ الملأ مخادعة الأتباع. فخسر الطرفان الحياة واستمتع بعضهم ببعض .

وفي المشهد التالي يجمع الله تعالى بين الفريقين المختلفين في نظراتهم ومواقفهم من وظيفة الحياة وواجباتها ،ويذكر الله تعالى بين الفريقين طرفًا ثالثًا وظيفته عرض بضاعته والإغراء بها. وهو الشيطان ؛ليظهر لكل عاقل كيف اختار كل فريق ، وأين كان مآله. قال تعالى﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) ﴾(١٣).

والناس في الدنيا بين تابع ومتبوع ،بحق أو بباطل ؛ سواء منهم الصحيح وذو الآفة.

- الثانية التي يدخل منها الإشكال في فهم تكافؤ الإمكانات والمساحة المتاحة للتعويض:

إن كثيرين يذهلون عن ضرورة التفريق بين تكافؤ الإمكانات – وهو حق وعدل- وبين الحرية الفوضوية وحق الفرد في فعل ما يشاء. وهذا التشوّش سببه أن الحرية الفوضوية تستهوي الإنسان وتشعره بكرامةٍ وَهْمية ،وأن أيّ تقييد لها هو إخلال بمبدأ تكافؤ إمكانات الحياة ؛وبالتالي فإن أيّ إخفاق سيكون محسوبًا على هذا التقييد النسبي للحرية. ألم تر إلى فرعون ومن معه يعبثون بمستقبل الأمة وتدمير عافيتها وسلامتها، ومع ذلك ﴿ ..إِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾(١٤)﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ ﴾ أيّ حسنة كالخصب وإدرار الرزق ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ أي :نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي :قحط وجدب

ونحوها ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾أي يقولوا :إنما جاءنا بسبب مجيء موسى ،واتّباع بني إسرائيل له"[١٥]. فجعلوا اتّباع الهدى أعظمَ أسباب السيئات والكوارث ،وجعلوا ماهم عليه من الكفر والترف والفسوق هو مصدر الحسنات والخصب ورغد العيش ،في زعم فرعون وملئه !!.

وهذا التشويه مصدره ذات مصدر الإشكال السابق ،وهو النظام الوضعي البشري، الذي يرفض تكافؤ الإمكانات والتعويض عما يفوت تحت سقف الشرع المعصوم ،ويتبجح مغرورًا برعايته للحريات المدمّرة!. ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾[١٦].فانظر كيف يكون إفساد فرعون الذي بلغ الغاية ليس بإفساد !. وهذا الفرعون يخشى "أن يُضِلَّ موسى الناسَ ويغير رسومهم وعاداتهم. وهذا كما يقال في المثل: "صار فرعون مُذَكِّرًا" يعني: واعظًا ،يشفق على الناس من موسى- عليه السلام "[١٧]

إن العدل المطلق في تكافؤ الإمكانات يستلزم مبدأ التعويض عما يفوت منها ؛لامحالة في ذلك. وإنه وفق النظام الإلهي لا يكون الحاكم عادلًا حتى يتحقق في النظام ،وفي مَن يقوم عليه حمايةُ مبدأ التكافؤ في الظروف والإمكانات. وهذه الثنائية (التعويض والتكافؤ) لا تتحقق إلا تحت سيادة النظام الإلهي. لأن هذا النظام وحده هو الذي يملك خاصية التعويض والمؤاخذة في الدنيا والآخرة. وقد جاءت نصوصه الحاكمة على الدولةِ الإسلامية وأفراد الأمة أن تلتزم هذا المبدأ ؛بمعنى أن عليها منح ظروف مكافئة للجميع بلا عوائق. وعلى الأفراد النظر بإيجابية إلى هذه الظروف ،واعتبارها جزءًا من حقوقهم المشروعة في مرحلة الحياة الدنيا التي يكونون فيها تحت سلطة بشرية تحكم بالإسلام. ثم يستوفي كل ذي حق حقه. إن كان عند مخلوق أُخِذ له ،وإن كان قَدَرًا إلهيًّا لا يَدَ للناس فيه وفّاه الله وعَوّضه وأرضاه.

من أجل ذلك يتنافس الأصحاء الموسرون في التضحية والبذل ،وهم مظنّة التعلق بالحياة؛ فضلًا عن ذوي الآفات الذين يسعهم الصبر مع التيسير والعذر في الدنيا ،والثواب والتعويض في الآخرة.

هذا المعنى الشريف المُبهِر في الإسلام لا تعرفه الجاهليات المتعاقبة ولا أهلها ، حتى في أرقى دول الحضارة المادية.

إن كلّ عملٍ ديني أو مدني يمكن أن ينال المسلمين بل عموم الناس منه خيرٌ يجب الإعلان عنه ؛ليكون متاحًا للجميع على قدرٍ متساوٍ. قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأصحابه وهو يواجه العدو: "من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه"[١٨].وفي موضوع آخر:"من رأى منكُم منكرًا فلْيُغَيِّره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه ،فإن لم يستطع فبقلبه ،وذلك أضعف الإيمان"[١٩].بل يجب أن تتعلم الأمة طبيعة التكافؤ

الذي تمنحه الشريعة ،وكيفية المنافسة فيه ؛باعتبار أن الإمكانات التي هي حق للجميع هي حقوق مدنية معاشيّة باعتبار، وهي جزءٌ من الدين بالمعنى الشامل للعبادة. قال ــ سبحانه ــ : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣) ﴾[٢٠]. ولهذا قال أمير المؤمنين الفاروق لمن حاول استخدام السلطة المدنية لإلغاء مبدأ التكافؤ المستحق لكل من تأهل له: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" ؟. وهذه الحرية من مظاهر العدل الرباني.

بل إن من أعظم صور إقرار تكافؤ الاختيار في النظام الإلهي هو مبدأ التوحيد ،الذي يقوم على مبدأ تحرير الإنسان من العبودية لأي مخلوق ــ أيًّا كان وصفه أو مترلته ، وتأكيد وجوب توجه الجميع لخالق واحد وإله متفرد ،وأن الجميع أمام هذا الخالق متساوون في إمكانية القرب منه ونيل رضاه ،وسؤاله والاستعانة به. ويكفي أن نعلم أنه في حال"العبودية للبشر يأخذ السيد خيْر عبده ،أما العبودية لله تعالى فعِزٌّ وشرف،حيث يأخذ العبد خَيْر سيده ،فهي عبودية سيادة ،لا عبودية قهر"[٢١]. فهل مَن يأخذ خيرك سيمنحك ظرفا مُواتيًا على حساب نفسه ؟ومن يُفيض عليك الخيرَ هل سيمنعك الحصول عليه أم سيعينك

لقد أعلن الإسلام الحرب على جميع صور الخرافة ،وعرّى زيف مدّعِي الوساطة والشفعاء أجمعين ،وعدّهم طواغيت وقطاع طرق ،ومرتزقة انتهازيين ؛كل ذلك لأنهم زعموا لأنفسهم أو لمن يمثلونهم تكريمًا خاصًا وإمكانات إلهية لم يمنحها الله لعامة الناس ،وذلك في آيات كثيرة صريحة دامغة ،أذكر منها هذه الآيات: قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ﴾[٢٢].وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٣].

وقال﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[٢٤]. وقال سبحانه: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ﴾[٢٥]. فهل بقي من مُتَعَلّقٍ بالشرك أو الخرافة لِمَن له عقلٌ ؟. وماذا بقي من مبررات احترام لصوص الحرية الحقيقيين؟ الذين لا يصادرون حرية التعبير المعلنة فقط ؛بل يصادرون حرية نبض الضمائر وخلجات المشاعر، وعاطفة الحب والتعظيم ،ويحتكرون

ذلك لأنفسهم. إن تَسوّل التكافؤ لديهم منكر،والمطالبة به جريمة في هذه الأوساط الخرافية المظلمة ،ولو ادعى أربابها التنسك والصفاء الروحي.

أما الخارجون عن دائرة الإسلام ،والمتشبهون بهم فهؤلاء قد تَحَجّروا التعويض فانقلبت عليهم النتائج بصورة مدمرة. فمنهم من نظر إلى الحياة الدنيا وحدها غاية ونهاية ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾(٢٦).وهؤلاء نظروا إلى الحياة على طريقة طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي ، في قوله:

ألا أيّهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ؟(٢٧)

ومنهم من جَمَد على حال مرجوحة أو فضيلة منسوخة ،وهو يظن أنه على شيء. وذلك شأن من يزعم الانتساب إلى التوراة أو الإنجيل ،من اليهود والنصارى. وكلتا الطائفتين تتشبث بشريعة منسوخة ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ يريدون التكريم والخصوصية بالانتساب إليهما ،فبين الله ضلالهم وفضح أوهامهم "قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(٢٨).لقد انتقل ميدان التكريم ،وصاحبُ الأمر والنهي- جلّ وعلا- طلب من عبيده أن يتجهوا إلى دين أعظم وأشمل في ظل رسالة جديدة ورسول خاتم ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسُ محمد بيده ،لا يسمعُ بي أحد من هذه الأمَّةِ ــ يهودِيّ ولا نصرانيّ ــ ثم يموت ولم يُؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به ،إلا كان من أصحابِ النَّار"(٢٩). وما ظلمهم الله ؛فقد كانت الخيرة بين يديهم!. والله يقول لهم ولأمثالهم﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ.. ﴾(٣٠). والرسول يقول الحق من ربه ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.. ﴾(٣١).

إن مبدأ "تكافؤ الخيارات وتهيئة الظروف" أمام الجميع مبدأ عالمي معروف ،ومعناه : المساواة في المواطنة والحقوق في إطار الدولة الواحدة. وهذا يكاد يكون منعدماً في الدول الإسلامية المعاصرة وبين المسلمين ، ونحن أحق بذلك وأهله ،ففات علينا من أسباب النهوض ما فات. وقد أفلحت الدول التي أتاحت الحقوق للجميع ،حسب المنظور المقبول لديهم ــ وقطعت شأوًا بعيدًا في ميادين الحياة المادية والمدنية ،وفات عليهم من الرضا والسعادة بقدر ما فات عليهم من إدراك طبيعتها. وهذا بحد ذاته شاهد على أن هذه الحياة تؤتي أكلها لمن أتى بيوتها من أبوابها ؛كائنا من كان. قال الحق جل جلاله:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾(٣٢) ، وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾(٣٣).

وبعد فقد تبين لنا أن شريعة الإسلام هي التي تمنح الرضا بالتعويض المجزي المرضي لمن استحقه حتى لايرى أنه فات عليه شيء ،وتقطع العذر على العابث الذي يريد تكريمًا لم يتأهل له ، أو تعويضًا لا يستحقه. والشريعة هي التي تنزل أهل الفضل منازلهم ،وتعطي كل مجتهد ثواب جهده ،وكل صابر محتسبٍ ما أصابه أجرَه موفورًا في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما. وأن الحيرة التي تصيب أكثر الناس من فوات حظوظهم ،أو الحسد الذي يأكل القلوب المريضة ؛كراهية أن ترى فضل الله على من يشاء من عباده ــ إن هذا وذاك ــ سببه الجهل بهذا الدين وما تضمنه من عدل وحكمة. ولو لم يكن إلا هذا سببًا موجبا للإيمان باليوم الآخر لكفى..

ولعل السبيل بعد ذلك تمهدت لمدارسة بعض النماذج التي وردت في الكتاب والسنة في شأن أهل الأعذار والآفات ،كيف كان هدي الإسلام في تسليتهم وتعويضهم ..وهو موضوع مبحثنا التالي:

المبحث الثاني : تعويض ذوي الآفات وأهل الأعذار.

لا تخطئ العين ملامح المكافأة والتعويض لمن فاته حظٌ أعطى الله مثله لأمثاله، وبالاستقراء وجدت أن القرآن الكريم عرض لجوانب أربعة لمكافأة وتعويض من فاته حظ، من غير تفريط منه ،أذكرها دون استقصاء ؛إذ الغرض إبراز جانب التعويض والتخفيف في كل جانب وليس الاستيعاب.

وهذه الجوانب الأربعة هي :

- رفع الحرج عن المكلف.
- إثابة المعذور ثواب من أدرك وعَمِل.
- تخفيف العقوبة عنه.
- تخفيف التكليف أو إسقاطه.
- وهناك وجه خامس غير مباشر ؛أي أنه لايرجع إلى ذات المعذور ومن به آفة مباشرة، لكن يمكن أن يكون تسلية لهم ؛ حيث يرون تبعات الأصحاء الثقيلة ،بل ويشاهدون ما يقع على المقصرين والمخالفين من عقوبات ومؤاخذات. وهو وجه لطيف من أوجه التسلية سأذكره خامسا للجوانب الأربعة آنفة الذكر.

وبالتأمل فإنه في سياق هذه الأمثال المعذور أصحابُها يذكر القرآن ــ غالبًا ــ ما يقابلها ممن وقعوا في المخالفة واستجازوا العذر لأنفسهم اختيارًا ،وهم ليسوا بمعذورين. وقد يذكر المقابل على سبيل التهديد والتحذير من الانجرار إليه بحجج واهية. وسوف أذكر من ذلك أمثالًا في مواطنها.

- الأول : رفع الحرج عن المكلف.

الحرج هنا هو الإثم ،ورفعه يعني عدم المؤاخذة بترك المأمور أو فعل المنهي عنه.

فمن ذلك: رفع الحرج عن الذين عجزوا عن الإنفاق ،وعن الخروج للجهاد لضيق ذات اليد.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ(٩٢) ﴾[٣٤] .

لكن الشأن فيمن يستأذن وهو قادر. ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣٥].

ومن ذلك: رفع الحرج عن غير القادر على أداء العبادة على الوجه المراد منها. وذلك في مواضع من كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾[٣٦] ومثله :ما جاء عن زيد بن ثابت –رضي الله عنه ـــ قال :إن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أملى عليّ: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ... ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ ، فقال : يا رسول الله ، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلًا أعمى[٣٧] ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾[٣٨].

والإكراه على شيء لا يرضاه المرء طبعًا أو شرعًا موجب لرفع الحرج ،حتى الإكراه على قول الكفر ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وفرقٌ بينه وبين من قال الكفر مختارًا منشرحا صدره ؛ولهذا جاء في تتمة الآية ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(١٠٧) ﴾[٣٩]. ومع أن المكرَه على الكفر يمكنه أن يأبى النطق به ،وإن قُتل كان

مأجورًا مجاهدًا عند الله مع أنه نطق بالكفر اتقاء القتل واستبقاءً لنفسه ،مع ذلك كان معذورًا. والآخر الذي اختار الكفر بلا إكراه استحق الغضب والعذاب العظيم.

وهذا مطرد في كل تكليف ،فمتى عجز المرء عن فعل المأمور كان رفع الجُناح والحرج عنه قاعدة ثابتة ؛فإنه لا تكليف إلا مع الاستطاعة ،والحرجُ مرفوع في الشريعة ،ومعلوم أن الحرج قد يكون مرادفًا للمشقة ،كقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[٤٠].وقد يكون هو الإثم ،كقوله- عز وجل[٤١]: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى﴾كما سلف وكلاهما مرفوع ؛فإن رفع الحرج- الإثم - سببه وقوع الحرج- المشقة- على المكلف على جهة اليقين أو غلبة الظن. أما المشقة الحاصلة من مخالفة الهوى فهي مشقة طبيعية ،وهي من جنس المشقة الحاصلة بسبب طلب الرزق .والصبر عليها عبادة ،وهي نسبية. فالعمل الذي يكون شاقا على شخص يكون محببًا لآخر ،قال تعالى مثنيًا على طائفة من عباده المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾[٤٢]. وقد استفاض عن بعض الصحابة وجمع من السلف أنهم كانوا لا يرون أُنْسَهم وطيب مقامهم في الدنيا إلا لظمأ الهواجر ــ أي الصيام ــ، وقيام ليالي الشتاء ،والسفر جهادًا في سبيل الله ،ونحو ذلك ،وهذا مستفيض في تراجمهم، منهم عمر وأبو ذر وعبدالله بن عمر ومعاذ وإبراهيم بن أدهم وابن المبارك[٤٣] رضي الله عنهم.

بل لو تأملنا لوجدنا الحياة ــ ذاتها ــ لا تكون المؤاخذة فيها حتى تبلغ الحجة وتثبت المخالفة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[٤٤]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٤٥].والآيات في هذا الباب صريحة متوافرة.

- الثاني : إثابة المعذور ثواب من أدرك وعمل

وهذا قدر زائد على مجرد العذر- كما سلف - وهو كسابقه من أعظم مظاهر العدل الرباني ، والمواساة لأهل الأعذار الذين يعلم الله من حالهم أنهم لو استطاعوا لم يتأخروا، وللذين ثبت صدقهم وحرصهم حال قدرتهم وتمكنهم.

فالذين تخلفوا عن الجهاد لعدم القدرة عذرهم الله -كما سلف- وأثابهم ثواب المجاهدين، كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في شأنهم لأصحابه :"إن أقوامًا بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيه ؛حبسهم العذر"[٤٦]. قال الإمام البغوي عند قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ يُرِيدُ:﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ أَولِي الضَّرَرِ﴾،أَيْ: غَيْرُ أُولِي الزَّمَانَةِ وَالضَّعْفِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصَرِ،﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فإنهم يساوون المجاهدين ، لأن العذر أقعدهم.

والمرء حين يمرض أو يسافر فإنه يُكتب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال :قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:"إذا مرض العبد، أو سافر ،كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا "(٤٧).

فإن كان التعويض في الآخرة كان الثواب زائدًا عما يناله من أعطي في الدنيا ؛لأن جنس ثواب الآخرة أعظم ،ولأن من حُرم في الدنيا كان يتمنى كغيره فلم يظفر بأمنيته فصبر فادّخر الله له التعويض مضاعفًا.

فمن حُرم الغنى ومُني بالفقر من المسلمين في هذه الحياة فإنه يعوَّض بأن يدخل الجنة قبل الأغنياء بأربعين عامًا ،لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :" يدْخل فُقَرَاء الْمُسلمين الْجنَّة قبل أغنيائهم بِنصْف يَوْم ؛وَهُوَ خَمْسمِائَة عَام"(٤٨).

وما المال إلا سبيل الوصول إلى العيش في جنة الخالدين

وكذلك من فاته الاستمتاع بشيء من حَوَاسِّه وقواه البدنية أو العقلية فإن الله ــ تعالى ــ بمنّه وكرمه يعوضه خيرًا مما فاته ،إما بثواب في الآخرة ،كما في حال المرأة التي تُصرع، فجاءت إلى النبي–صلى الله عليه وسلم– تشكو إليه وتلتمس دعاءه لها ، فعرض عليها أن يجيبها إلى ما طلبت أو تصبر ، ولها الجنة(٤٩) ،فاختارت الصبرَ والستر والجنة، فظفرت بأعظم مما أمّلت.

ومثل ذلك من أصيب بفقد الولد ،أو ذهاب البصر،كما في قوله– صلى الله عليه وسلم:"أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنْ النَّارِ قَالَتْ امْرَأَةٌ وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ"(٥٠).

وقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ فيما يرويه عن ربه :"إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر فله الجنة"(٥١). وحبيبتاه هما عيناه .

ومن ابتلي بمرض مقعد ، أو مُدنِف ، أو مزمن ، والمأسور والسجين، ونحوهم من كل من أصابته آفة ، فكل هؤلاء إذا احتسبوا عند الله فإنه سبحانه كريم يكفر من خطاياهم بما أصابهم ، ويدّخر لهم من الأجور العظيمة في الآخرة ما ترجح به كفتهم على كثير من الأصحاء الأسوياء. وقد ورد أن الله عوّض جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة. لهذا سُمي الطيار.(٥٢) ومما يشهد لعموم ذلك قوله

عليه الصلاة والسلام للأعرابي " إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله جل وعز إلا أعطاك خيرًا منه"[٥٣].وقوله:" ما يصيب المسلم من تعب ولانصب إلا كفر الله به من خطاياه ؛حتى الشوكة يشاكها"[٥٤]. وقوله ـــ عليه الصلاة والسلام:"عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن إصابته سراء شكر فكان خيرًا لـــه، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"[٥٥] .

هذا التعويض في الآخرة مطّرد. أما في الدنيا فإن العادة أن هؤلاء وأمثالهم يلحقهم مـــن الضـــيق والحزن بقدر ما فاتهم ،والله الخالق العليم بأحوالهم يعوّضهم تعويضًا عاجلًا بالسلوة والرضا ،ويفـــتح عليهم من أبواب الحمد والشكر والثناء على الله ما يغنيهم عما فقدوه ،وما يكـــون ســـببًا للتوبـــة والاستغفار والانكسار له سبحانه فتثقل صحائف أعمالهم بحسنات ما كانوا ليعملوها لو كانوا غافلين في متع الحياة ،ثم إنه سبحانه يعوضهم عاجلًا عما فاتهم، بحيث تصغر آفاتهم في عيونهم. وآية ذلك أنك تجد كثيرًا منهم لا يشعر بنقص ولا غضاضة، بينما الأصحاء ذاتهم يشعرون بالإشفاق علـــيهم. بـــل تراهم يزاحمون الناس على قدم المساواة. ويَهَبُ الله للواحد منهم صبرًا وعونًا نفسيًا يتجاوز به مصابه ،وهم متفاوتون في ذلك تفاوتَهم في رجاء الثواب ،والرضا والصبر الاختياري. بل إنه حتى غير المؤمن ؛ ممن سلّم بما قضي له وتقبّل ما هو عليه فإن الله يُرضيه بحاله ؛ليعيش سويًا؛ وذلك لأن هذا التعويض أصله والقاسمُ المشترك منه هو من لوازم الربوبية ،فلذلك يعطي الله القدرَ المشترك منه للمؤمن والكافر ؛كما يعطي الحياة والرزق والصحة ونحوها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِـــنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ﴾[٥٦]. أي" يا إبراهيم ، قد أجبت دعوتك، ورزقـــت مؤمني أهل هذا البلد من الثمرات وكفارَهم، متاعًا لهم إلى بلوغ آجالهم"[٥٧] ويزيد المؤمن فيه بحسب ما معه من اليقين والصبر والاحتساب ،مع ما ثبت لهم من العذر وتخفيف التكاليف.

وقد يكون التعويض بأن يفتح الله له من أبواب الخير الأخرى مما يناسب حاله ،وقد تكون أقـــل كلفة وأحسن عائدة ؛كما يكون التسبيح والتحميد والتكبير تعويضًا لمن عجز عن إنفـــاق الأمـــوال ،فهؤلاء "فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور بـــالأجور ، فقال : وما ذاك ، قالوا : يصلون كما نصلي، ويتصدقون ولا نتصدق ،ويعتقون ولا نعتـــق ؟ فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم ،وتسبقون به من بعدكم ،ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل الذي صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رســـول الله ! قـــال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة.." [٥٨].

بل إن التعويض يكون أيضًا حسيًا ماديًا ؛كأن يعوض الله من فقد إحدى حواسه بقوة وسلامة حاسة أخرى ،وهذا مستفيض في أن مَن فقد حاسة الإبصار يكون سمعه مرهفًا، وذهنه متوقدًا ؛لأنه يجتمع له من قوى الذهن ما قد يتبدد عادة بسبب وجود حاسة البصر. وكذا من أصابت إحدى يديه آفة أن الله يعوضه بقوة زائدة في يده الأخرى.

وقد يكون التعويض بأن يَسلم من تبعات مجاهدة النفس جرّاء ما تجلبه هذه الحواس،فيغنم في دينه أضعاف مايفوته من دنياه،لأن للسمع آفات وللنظر آفات تحتف بهما،ولكل حاسة تبعات. قال –تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا(٣٨) ﴾[٥٩]. وعن ابن عباس قال:"ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم:"إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه".[٦٠] وقد يجتمع لشخص من أنواع التعويض عددٌ ،فينال طمأنينة الدنيا والفوز بالآخرة.

والمقصود الذي نسعى إلى إيضاحه وتقريره هاهنا:

أن المرء حيث كان ،وعلى أي حال كان فإن الله يجعله في وضع لا يكون فيه مغبونًا؛ فإما حال سويّة ،أو عِوضٌ مُرْضٍ في العاجل أو في الآجل ،أو فيهما معًا. وهو في جميع أحواله قادر على المنافسة في الخير من موقعه الذي هو فيه. بل قد يكون هو أسعد وأحرى بالظفر بأسباب الفوز الأبدي والنجاح السرمدي ،في الوقت الذي يبدو للناس أنه محروم؛ لفوات بعض حظوظه من الدنيا. وهذا هو الإشكال الذي وقع فيه أكثر الناس؛ أنهم نظروا إلى أسباب التفاضل نظرًا ماديًا ،وإلى التفوق الدنيوي فيها أنه هو مظهر العدل ومؤشر الاستحقاق ،وإلى ميدان ذلك وأنه الدنيا ولذاتها فحسب ، وأن المحروم من ذلك أو من شيء منه ،أنه خارج حلبة السباق ،ولم يترك له القدر إلا الفتات. وهذا جهل بالله تعالى، وغمز بحكمته وعدله واختياره لخلقه. ومن تأمل الآية التالية أغنته في هذا الباب. قال تعالى﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٦١].

فهذه الآية "عامة مطردة ،في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك ،وأن أفعال الشر التي تحبها النفوس لِما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك. وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر مطردًا ،ولكن الغالب على العبد المؤمن ،أنه إذا أحب أمرًا من الأمور ،

فقيّض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له ، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله ، ويجعل الخير في الواقع ، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه ،وأقدر على مصلحة عبـــده منـــه، وأعلــم بمصلحته منه كما قال تعالى﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره ،سواء سرّتكم أو ساءتكم﴾[٦٢].

والله يعلم من نفوسنا الضعف ،وما أودع فيها من نوازع ورغبات ،فيمنح البدائل المُعَزّية، ولا يدع في الدنيا حالًا على حالها من نعيم أو بؤس ؛لئلا تذهب النفوس أبعد في الغرور أو القنوط. فمن واتته الظروف وابتسمت له الأيام يعيش قلقًا ؛خوفًا من تحولها. ومن فاتته متع الدنيا وناله شظفها ،يعــيش يَحْدوه أملُ قُربِ زوالها.. فاقترب هذا من هذا. فالحمد لله على ما أحكم وقدّر.

- الثالث : تخفيف العقوبة عنه.

إذا كان المعذور ينال ثواب غيره في باب المأمورات ـــ فضلا من الله وكرمًا ـــ كما سبق بيانـــه، فإنه يعاقب بعقوبة أخف من غيره إذا وقع في مخالفة ،وارتكب ما نهى الله عنه. وهـــذا وجـــه آخــر للمكافأة والتعويض عما فاته مما تمتع فيه غيره ؛لكن من باب التخفيف ،وهو مقتضى، بل منتهى العدل واللطف الإلهي. ولذلك أمثال.

منها ما ورد في الإماء المحصنات ،إذا أتين بفاحشة ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ. ﴾[٦٣]. والأَمَة هي الرقيق المسلوبة الحرية، فيها نوازع البشر ،وليس لها الحق كالحرائر في الاختيار ،وهي تعاني ذُلّ الرق والدونية. ولا يجمع الله عليهـــا هَـــوَان الـــذات ،وكمال العقوبة. فإن أتت بفاحشة ،فعذابها نصف عذاب الحُرّة؛ لأن من تمتع بكمال الحرية اســتحق كمال المؤاخذة. ومن فاته شيء منها كانت المؤاخذة بحسب ذلك ،كما سَلَفَت بذلك الأمثال.

ومن ذلك ما تقرر من الاختلاف بين عقوبة الزاني المحصن وغير المحصن. فالمحصن عقوبته الـــرجم، وغير المحصن عقوبته الجلد مائة ، مع التغريب. ذلك أن الزاني المحصن قد تمكن من إشباع رغبته ،فإذا تجاوز ما أحل الله له إلى ما حرّم عليه كان ذلك عدوانًا لا شبهةَ عذرٍ فيه ،بخلاف غير المحصن ، الذي قد يقع في فخ التغرير به ، وتحاصره شهوته ، وهو في الغالب شاب يتدفق حيوية، وشهوته في فورتها. ولم يكن محصنًا بما يغنيه. ومعلوم أن هذا التفاوت في العقوبة لا يوحي بعذر أيٍّ منهما ،ولكنه منـــهج عملي واقعي، يتعامل مع كل واقعة بما يلائمها، بعيدًا عن العواطف واختلاف الآراء.

ويزداد الأمر وضوحًا بذكر مقابِله ،وهو من يقع في المخالفة وليس فيه دواعي الفعل ومهيجاتـــه. ومن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح :"ثلاثةٌ لا يكلمُهُمُ الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم

،ولهم عذابٌ أليمٌ ،شيخٌ زانٍ ،وملِكٌ كذاب ،وعائل مستكبرٌ"[٦٤] فهؤلاء المذكورون في الحديث ،زادت مؤاخذتهم عن غيرهم لأن دوافع المخالفة فيهم تعد نشازًا. فكما خفف الله عن أولئك المذكورين في الأمثال السابقة ؛لِما احتفّ بهم من أسباب تقدمت الإشارة إليها ،ضاعَف الله على المذكورين في هذا الحديث، لأن وقوع كلٍ منهم في مخالفته مع بُعد طبيعته وظروفه عن ملابستها ،كان سببًا في التشنيع عليهم.

- الرابع : تخفيف التكليف أو إسقاطه .

وهو ضرب من ضروب المكافأة لمن لم تتكافأ ظروفه مع غيره ؛ لعارض أو آفة ملازمة.

والتخفيف قد يكون بالتخيير ابتداءً ،ثم الانتقال إلى الأخف حال العجز عما فوقه،كالتخيير في كفارة اليمين ؛ قال تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[٦٥].

وقد يكون بالتخيير على الترتيب ؛ينتقل المكلف إلى الحالة التي تناسبه إذا شق عليه ما فوقها. كصلاة المريض والعاجز "صلِّ قائمًا ،فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب"[٦٦] ومثل كفارة الظهار. قال تعالى﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.(٤) ﴾[٦٧]. وفدية الأذى في الحج. قال تعالى ﴿ ..فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ " معنى الآية: أن من كان في الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك"[٦٨].

وقد اجتمع للمرأة من أسباب التيسير والتخفيف أكثر مما يكون للرجل في الجملة. لما يعتريها من أحوال تعودها ،ولما في بنيتها من الضعف. فثبت لها إسقاط التكليف بالكلية، كحطّ العبادات عنها حال عذرها والتخفيف كتخفيف تحمّلها للشهادة . ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن" قلنا وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟" قلن بلى. قال"فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم؟" قلن بلى. قال"فذلك من نقصان دينها "[٦٩].فاجتمع للمرأة في هذا الحديث تخفيفٌ وإسقاط ،في تناسب رائع ؛ فإسقاط العبادات حيث لا تتمكن من

التطهر لأمر خارج عن إرادتها. وتخفيف تحمل الشهادة حيث يشق عليها الضبط؛ بالنظر إلى طبيعة بنيتها الجسمية ،وعاطفتها المعوّل عليها في التنشئة والرعاية الأسرية أكثر من الاحتياج لها في معترك الحياة الميدانية. قال سبحانه : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾(٧٠).

والحجاب الذي اختصت به المرأة وفُرض عليها يُخفَّف عنها إذا لحقها من ارتدائه مشقة بسبب الكِبَر وضعف البصر ،خاصة إذا انصرفت الشهوة منها وإليها.قال الحق سبحانه : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾(٧١).

والأصل في كل ما اختصت به المرأة ،وما ثبت لها من أوجه الاختلاف بينها وبين الرجل من أحكام تكليفية ،أو وظائف مدنية هو ما جاء في كتاب الله من مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾(٧٢). وقوله سبحانه :﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٧٣).وقوله جل وعزّ ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾(٧٤).وقوله سبحانه : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(٧٥). ﴿وقوله"وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾(٧٦) ونحوها. وهذه الأحوال التي تحتفّ بالمرأة هي إما أمر لازم لها ،لا تملك الفكاك منه، أو غالبٌ يحتفّ بحالها ، فأقام الشارع الحُكم على الحال الغالبة ؛تيسيرا ولطفا منه جل وعزّ. وتلك مسألة عظيمة الأهمية ،لطيفة المأخذ؛ لتعلقها بالمرأة وحقوقها. ففي الوقت الذي تتخذ الشريعة السمحة خطوات عملية لحماية المرأة ومراعاة طبيعتها؛ بحطّ التكاليف أحيانا، وتخفيفها عنها غالبا ،وكفايتها في معاشها ،وسترها والقوامة عليها؛ خدمة لها.. نرى دعاوى أدعياء حقوق المرأة تتجه إلى الزجِّ بالمرأة في كل أودية الحياة باسم المساواة مع الرجل. فأي الفريقين أهدى سبيلا وأقوم قيلا ؟. وأيهم أحنى على المرأة وأعرف بما يُصلح شأنها؟.

- الخامس : التسلية بذكر مسئوليات الأصحاء وعقوبات المخالفين من القادرين.

التسلية تعويضٌ بالغ الأثر على النفوس التي تعاني نوعا من الحرمان ؛أيا كان سببه؛ ذلك أن الامتياز والتكريم قد يثير حفيظة الأقران القادرين ، فضلا عن ذوي الآفات والأعذار. لكـــن إذا تـــذكروا أن الصحة والمال ليست صفوا ،بل تلهي وتطغي قال تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَـــانَ لَيَطْغَـــى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى(٧) ﴾[٧٧].وأكثر من فقدوا مستقبلهم وخسروا أنفسهم هم أولئك الذين ظفروا بأمانيّهم من الصحة والمال والجاه.. فظنوا أن ذلك عن استحقاق وأنه دليل رضىً، بينما هو أقرب طريق يتسلل منه الفسوق إلى النفوس. فهؤلاء بنو إسرائيل أكرمهم الله غاية الإكرام ،حيث جعـــل طعـــامهم المَـــنّ والسلوى ،بلا كدٍّ منهم ،فزهدوا فيها وكفروها ،وقالوا ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِـــهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[٧٨]. فـــانظر كيف ازدروا طعاما اختاره الله لهم واختصهم به، وفضلوا عليه البقول والعدس والبصل! ولهذا فإن "الله سبحانه وتعالى قبل أن يجيبهم أراد أن يؤنبهم: فقال﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أي أتستبدلون الذي هو رزق مباشر من الله تبارك وتعالى.. وهو المَنّ والسلوى يأتيكم " بكن " قريب من رزق الآخرة بما هو أقل منه درجة وهو رزق الأسباب في الدنيا.؟" [٧٩].

وكحال قبيلة سبأ الذين كانت لهم آية ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[٨٠].ولما كانت هذه النعمة قد جاءت إليهم عفوا بلا جهد ، لم يقـــدروها قدرها ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[٨١].وهذا بالاستقراء هو شأن من يولد في حال مواتية بلا جهد وترقّب.

ومثله القاعد عن الجهاد ؛تخذيلا لأصحابه وتشكيكا في نتائجه ،إذا رأى بيارق النصـــر والغنـــائم ،قال متحسرا : ﴿ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[٨٢].هؤلاء ذمّهم الله لأنهم قادرون بذواتهم وإمكاناتهم لو أرادوا الخروج. ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾[٨٣]. بينما عذر العاجز بنفسه والعاجز عن الإنفاق بماله.

ومن الابتلاء الذي فشل فيه المقتدِرون ما حصل للمنافقين من المنع من الخروج لقتال العدو؛ جزاء ما فرطوا به أول مرّة ،ومنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم، وشهود جنائزهم.قال تعالى ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾[٨٤] .

فإذا رأى المعذور ومن به آفة أمثال هذه العواقب للأفراد والجماعات حَمِد الله أنه لم يتعرض لهذا الابتلاء الذي ربما لو عُرِض عليه لم يكن حاله أحسن من حالهم. وفرح أنه إذا صحت نيته بالمشاركة حال القدرة كتب الله له مثل أجر الصادقين منهم.

وأصل ذلك أنه إذا اختص الله شخصا أو طائفة أو أمّة بشيء فإن هذا الاختصاص تكريم يستوجب شكرا وامتثالا يشهد لصاحبه على اعترافٍ بهذه المنة. فإذا نكص الشخص أو الطائفة عن الشكر بعد الظفر بها ،كان ذلك دليل فساد تلك النفوس ،وعدم أهليتها لهذه المنة والمنحة.

أما إذا كان ذلك الامتنان ممنوحا بعد طلب وسؤال القوم ،ثم يكون النكوص والكفران، فهو المقت والعقوبة . وهذا أدنى استحقاق على أسوأ خَليقة. إن استجابة المولى العظيم في عليائه وكبريائه لطلب عبدٍ أو طائفةٍ لهو شأن عظيم يستحق الاحتفال والفرح والاغتباط. فهم طلبوا بمحض إرادتهم ،فلا مُكرِه لهم. وقد جاءهم ما طلبوا كما طلبوا ،بل أفضل منه. ومعه من الدلائل ما يقطع الشكوك ويوجب الانقياد ،فكيف يقابَل باللِّواذ والتواني ،بله النكوص والإعراض !! وإليك هذه المشاهد:

رجل آتاه الله العلم ،وهو من أعظم الفضائل بين الناس ،فانسلخ من هذا التكريم ،حتى لَيَقُول عنه الناس : الجاهل خير من هذا العالم. ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(١٧٦) ﴾[٨٥].

وهؤلاء الملأ من بني إسرائيل يطلبون مَلِكا يقاتلون معه عدوهم ..فهل وفوا لّما أوفى الله لهم؟. قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[٨٦] .

ومثل الملأ من بني إسرائيل الحواريون الذين طلبوا المائدة ..

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ(١١٥) ﴾[٨٧] لأن غيركم لم يطلب ما طلبتم ،و لم يختصه الله بما اختصكم به.

والخلاصة أن من آمن بالإسلام وسلّم ورضي بتدبير الله فإنه على خير ،ويتنهي أمره إلى خير..وأنه إن كان صحيحا تناوله خطاب الشرع بعامة التكاليف ، واحتوته الشهوات من كل جانب ، فهو في رباط ومواجهة مع نفسه الأمارة بالسوء وشياطين الإنس والجن ،وإن نجا من كريهة غشيته أخرى حتى يلقى الله..

وإن كان من أهل الآفات والأعذار وكان موفقا اشتغل بنفسه ،وكان أقرب إلى ربه، وسَلِم من تسلط بعض الشهوات وغشيان بعض المزالق ،وعذره الله من بعض التكاليف..ثم زاحم غيره في الآخرة على المنازل العالية في الجنة..

اللهم أوزعنا أن نشكر نِعَمَك وسوابغَ فضلك..

خاتمة بأهم نتائج هذه الدراسة :

وأُجمِلها في نقاط ، أهمها :

- أن الله تعالى بحكمته خلق الخلق متفاوتين في قدراتهم ومكاسبهم، فهذا ذكي وذاك مسلوب العقل .. وهذا مرزوق وآخر محروم. وذاك حرّ ،وغيره مسلوب الحرية .. وما بين ذلك. إلى عشرات المفارقات بين الخلق ؛ذكورا وإناثا. وفي هذا التفاوت من تجليات حكمة الله ولطفه وعلمه ما لا يُدرَك كنهه.
- أن النظام الإلهي وحده هو الذي يتحقق من خلاله العدل الكامل في التعويض عما يفوت على بعض الخلق ؛فمن أدركها فذاك ،ومن فاتته لعارض بغير اختياره وبغير تفريط منه عوّضه الله عنها بما يجعله مساويا لغيره.
- التعويض الإلهي له صور لا تتناهى ولا تكيفها العقول القاصرة. والجهل بذلك سبب قنوط وتسخط بعض الخلق ،أو اعتراض وشك من بعض الجهلة من أهل الإسلام، فضلا عمن سواهم.

- الدنيا ظرف للعمل من جهة ،ومكان للجزاء والمكافأة عليها من جهة أخرى ،أما الآخرة فهي مكان للجزاء والثواب ،وليست مجالا للعمل. وما يتصل نفعه أو ضرره في الآخرة فهو من آثار كسب المرء في الدنيا.
- الذين يرفضون توسيع دائرة المكافأة والتعويض لتشمل الدنيا والآخرة. هؤلاء يسهمون في تدمير مستقبل الإنسان في الدارين؛لأنهم يقطِّعون زمن المكافأة ،ويحرمون أنفسهم وغيرهم من أهم أزمنة الجزاء وأطولها وأخطرها ،وهو اليوم الآخر؛ الذي يكون فيه العدل المطلق في الحكم بين جميع الخلائق.
- وهذا التقطيع لأوصال الزمن يترك آثاره المدمرة على سلوك الناس وتدينهم ،ويؤكد لكل عاقل أن نظام الجزاء والمكافأة العادل لايستقيم، ولا يوثق بنتائجه إذا فصلنا الحياة الدنيا عن امتدادها في الزمان والمآل ،وهو الدار الآخرة.
- التعويض له صور ، منها:

  رفع الحرج عن المكلف .

  إثابة المعذور ثواب من أدرك وعَمِل.

  تخفيف العقوبة عنه .

  تخفيف التكليف أو إسقاطه .

  التسلية بذكر مسئوليات الأصحاء وعقوبات المخالفين من القادرين.
- عادة ما يمنح المولى ذوي الآفات من الصبر والرضا ،وييسر لهم البدائل التي تغنيهم وتنزع من نفوسهم هاجس الدونية وهَمّ الآفة. وهذا تعويض عاجل ،لاينقص من أجورهم إذا احتسبوا.
- الحياة الدنيا قصيرة مؤقتة ونسبية ،ولهذا لا يتعرض لها القرآن في معرض التحسر على ما فات أصحابها ،أو يحتفل بتعويضهم عما فات منها في الدنيا ،وهذا مؤشر معياريّ على القيمة المضافة للتعويض.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هوامش البحث :

---

(١) سورة فاطر –آية (٣٧)

(٢) سورة النحل–آية (٩٧)

(٣) سورة الفرقان –آية (٢٣)

(٤) تفسير البغوي (٦/٧٩) ، ابن كثير (٦/١٠٣)

(٥) سورة الحاقة–آية (٢٤)

(٦) سورة الانعام–آية (٣١)

(٧) انظر تفسير في ظلال القرآن (١/٢٠٨)

(٨) سورة فصلت–آية (٤٦)

(٩) سورة غافر–آية (١٦)

(١٠) سورة الروم –آية (٣٠)

(١١) سورة الروم–الايات (٢٨-٣٠)

(١٢) سورة سبأ –آيات (٣١-٣٣)

(١٣) سورة إبراهيم –آيات (٢١-٢٣)

(١٤) سورة الأعراف–آية (١٣١)

(١٥) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٣٠١)

(١٦) سورة غافر–آية (٢٦)

(١٧) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير (١/٢٢٢٨)- محمد نسيب الرفاعي.

(١٨) البخاري (٤/١٣١) رقم (١٥٦٢) – (باب ماجاء في من قتل قتيلاً فله سلبه – بهذا اللفظ)

(١٩) مسلم برقم (٤٩) (جـ ١/ص٦٩) باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان وأن الإيمان يزيد وينقص .

(٢٠) سورة الأنعام–آيات (١٦٢-١٦٣).

(٢١) انظر تفسير الشعراوي (١/٦٤٧٧١)

(٢٢) سورة فاطر –آيات (١٣-١٤)

(٢٣) سورة الأعراف–آية (١٩٤)

(٢٤) سورة سبأ –آية (٢٢)

(٢٥) سورة الزمر –آية (٤٣)

(٢٦) سورة الأنبياء–آية (٣٧)

(٢٧) انظر ديوان طرفة بن العبد (١/٦)

(٢٨) سورة البقرة—آية (١٣٦)

(٢٩) مسلم (باب وجوب الإيمان برساله نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل رقـــم (١٥٣) (جـــ ١ /ص١٣٤))

(٣٠) سورة الزمر —آية (٧)

(٣١) سورة الكهف —آية (٢٩)

(٣٢) سورة هود—آية (١٥)

(٣٣) سورة الشورى—آية (٢٠)

(٣٤) سورة التوبة—آيات (٩١-٩٢)

(٣٥) سورة التوبة —آية (٩٣)

(٣٦) سورة الفتح —آية (١٧)

(٣٧) البخاري رقم (٢٦٧٦)-(جـــ٣ /١٠٤٢) باب قولة تعالى (لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُـــؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ.... الآية)

(٣٨) سورة النساء —آية (٩٧)

(٣٩) سورة النحل —آيات (١٠٦-١٠٧)

(٤٠) سورة الحج —آية (٧٨)

(٤١) انظر نزهة الأعين النواظر (٢٣٩/١)

(٤٢) سورة الذاريات—آيات (١٧-١٨)

(٤٣) انظر الدر المنثور (٣٢٦/١)

(٤٤) سورة القصص—آية (٥٩)

(٤٥) سورة الإسراء —آية (١٥)

(٤٦) البخاري — رقم (٢٦٨٤) (جـــ٣/ص١٠٤٤) —(باب من حبسه العذر عن الغزو)

(٤٧) مسند أحمد — برقم (١٩٦٩٤) (جـــ٤/ص٤١٠) عن أبي موسى الاشعري .

(٤٨) سنن الترمذي — برقم (٢٣٥٤) (جـــ٤-ص٥٧٨) باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم وقال حديث صحيح .

(٤٩) أصل القصة في صحيح البخاري باب فضل من يصرع من المرض برقم (٥٣٢٨) (جـ٥/ص٢١٤٠)-كتاب المرض وهي في مسلم برقم (٢٥٧٦) (جـ٤/ص١٩٩٤) (باب فضل عيادة المريض)

(٥٠) البخاري (جـ١/ص٤٢١) برقم (١١٩٢) باب فضل من مات له ولد فاحتسب .

(٥١) البخاري – باب فضل من ذهب بصره – برقم (٥٣٢٩) (جـ٥/ص٢١٤٠)

(٥٢) المعجم الاوسط –الطبراني (جـ٧/ص٨٦) برقم (٦٩٣٢) عن ابن عباس .

(٥٣) مسند أحمد برقم (٢٠٧٥٨) (٥/٧٨) عن رجل من أهل البادية.

(٥٤) أصله في البخاري –كتاب المرض –(جـ٥/ص٢١٣٧) – رقم (٥٣١٨) – (باب ماجاء في كفارة المرض) .

(٥٥) مسلم –(جـ٤/ص٢٢٩٥) رقم (٢٩٩٩) –(باب المؤمن أمره كله خير).

(٥٦) سورة البقرة –آية (١٢٦)

(٥٧) انظر تفسير بن جرير (٢/٥٤٦)

(٥٨) البخاري (جـ١/٢٨٩) برقم (٨٠٧) –(باب الذكر بعد الصلاة ، مسلم (جـ١/٤١٧) رقم (٥٩٥) باب التحيات الذكر بعد الصلاة وصفته .

(٥٩) سورة الإسراء–آيات (٢٦-٢٨)

(٦٠) البخاري –باب زنا الجوارح دون الفرج- رقم (٥٨٨٩)(جـ٥/ص٢٣٠٤) ومسلم (جـ٤/ص٢٠٤٧) برقم (٣٦٥٧) – (باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره .

(٦١) سورة البقرة–آية (٢١٦)

(٦٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٩٦).

(٦٣) سورة النساء –آيه (٢٥)

(٦٤) مسلم (جـ١/ص١٠٢) برقم (١٠٧) – (باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ...)

(٦٥) سورة المائدة –آية (٨٩)

(٦٦) البخاري (ج،١/ص٣٧٦) برقم (١٠٦٦) –(باب إذا لم يستطع قاعداً صلى على جنب)

(٦٧) سورة المجادلة –آيات (٣-٤)

(٦٨) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩٥)

---

(٦٩) البخاري (جـ١/ص١١٦) برقم (٢٩٨) – (باب ترك الحائض الصوم)

(٧٠) سورة البقرة –آية (٢٨٢)

(٧١) سورة النور –آية (٦٠)

(٧٢) سورة آل عمران–آية (٦٠)

(٧٣) سورة النساء–آية (٣٢)

(٧٤) سورة الزخرف –آية (١٨)

(٧٥) سورة النساء–آية (٣٤)

(٧٦) سورة البقرة–آية (٢٨٢)

(٧٧) سورة العلق–آيات (٦-٧)

(٧٨) سورة البقرة –آية (٦١)

(٧٩) انظر تفسير الشعراوي (١/٢٠٤).

(٨٠) سورة سبأ–آية (١٥)

(٨١) سورة سبأ–آية (١٦)

(٨٢) سورة النساء–آية (٧٣)

(٨٣) سورة التوبة–آية (٤٦)

(٨٤) سورة التوبة –آية (٨٣)

(٨٥) سورة الأعراف –آية (١٧٦)

(٨٦) سورة البقرة –آية (٢٤٦)

(٨٧) سورة المائدة –آية (١١٥)

أهم المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

١) جامع البيان في تفسير آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – دار هجر – ط(١)

٢) تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي – دار طيبه للنشر والتوزيع – ط(٢) ١٩٩٩م

٣) مختصر تفسير البغوي – عبدالله بن أحمد الديد – دار السلام للنشر والتوزيع ط(١)-١٤١٦هـ .

٤) التسهيل لعلوم التنزيل – محمد بن أحمد بن جزي الكليبي –ط(بدون) .

٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – مؤسسة الرسالة –ط(١) ٢٠٠٠م .

٦) تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ط(بدون)

٧) الجامع الصحيح المختصر – صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري – دار بن كثير – اليمامة-بيروت ط(٣)-١٩٨٧-تحقيق مصطفى ديب البغاء.

٨) صحيح مسلم –مسلم بن الحجاج النيسيابوري – دار إحياء التراث العربي-بيروت ط(بدون) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٩) الجامع الصحيح –سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط(بدون) .

١٠) الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار –مصنف ابن ابي شيبة الكوفي – مكتبة الرشد –الرباط- ط(١) ١٤٠٩هـ - تحقيق كمال الحوت .

١١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم الأصفهاني – دار الكتاب العربي – بيروت – ط(٤)-١٤٠٥هـ.

١٢) الزهد والرقائق .

١٣) شعب الإيمان – ابوبكر البيهقي – دار الكتب العلمية –بيروت-ط(١)-١٤١٠هـ -تحقيق محمد السعيد البسيوني .

١٤) في ظلال القرآن – سيد قطب إبراهيم – دار الشروق القاهرة- ط(١٠).

١٥) الغارة على العالم الاسلامي وصدام الحضارات – ربيع بن محمد بن علي-ط(بدون).

١٦) ديوان طرفة بن العبد – طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي – ط(بدون).

١٧) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير بن كثير – محمد بن نسيب الرفاعي –ط(بدون)

١٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- أبو الفرج بن الجوزي – مؤسسة الرسالة – بيروت-ط(بدون)-١٩٨٤م – تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضي

١٩) الدر المنثور في تفسير بالمأثور – عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – مركز هجر للبحوث – مصر – ط(بدون) ٢٠٠٣م.
٢٠) مسند الامام أحمد بن حنبل – أحمد بن حنبل الشيباني – مؤسسة قرطبة –مصر–ط(بدون)
٢١) المعجم الأوسط – سليمان بن أحمد الطبراني – دار الحزمي- القاهرة –ط(بدون)-١٤١٥هـ، تحقيق طارق عوض الله وآخرين .